كشف الشبهات عن بعض المعتقدات

للاب لويس شيخو اليسوعي

ورد في بعض المجلات والجرائد الوطنيَّة أقوال تمسّ شرف ديننا الكاثوليكي او تنفي شيئاً من التعاليم الثابتة بين ائمَّة علمائنا. ولان صفحات المشرق تضيق مع رحبها عن تفنيد هذه الآراء الواهنة بمقالات مسهبة رأينا ان ندحض اهمَّها في جملة عموميَّة افردناها لهذا الشأن

١ اعمار الاباء الاولين

سُئلت مجلة الهلال (ع ١٣ ص ٤٠٤) عن اعمار الآباء الاولين هل كانت سنو حياتهم قمريَّة ام شمسيَّة. فكان جوابها ان هذه السنين كانت قمريَّة ثمَّ زادت ما لم تُسأل عنهُ فقالت: «اما اعمار اولئك الآباء فيغلب على الظنّ انَّ المراد بها ليس اعمارهم الشخصيَّة بل اعمار قبائلهم او شعوبهم. ومثل هذا التعبير اعتيادي عند العرب فانهم اذا ارادوا القبيلة ذكروا جدّها وتحدَّثوا عنهُ (كذا) كأنهُ رجل. فيقولون جاء عدنان وغلب يعرب ونحو ذلك»

(قلنا) انَّ الهلال بقولهِ ان السنة كانت في عهد الآباء قمريَّة قد جزم بامر التبس على كثير من العلماء (راجع ما كتبناهُ في هذا الشان في المشرق ٢: ١٩٠). اما قولهُ عن اعمار الآباء الاولين فهو غريبٌ في بابهِ وكان الاولى بصاحب الهلال ان يتحاشى هذا المشكل لاسيما ان السائل لم يكلّفهُ الجواب عنهُ. فما لهُ اصلحهُ الله يدخل في المجاث اعتاصت على جهابذة العلماء فيفتي بصدقها او كذبها دون تروٍّ

والصحيح عندنا انَّ طول اعمار الآباء الاولين امرٌ ثابت يتفق على صحَّتهِ ليس فقط الكتاب الكريم بل تقاليد كل الشعوب القديمة تخصّ منهم بالذكر الكلدان والصينيين والمصريين والهنود. وليس هذا الامر بعيداً عن العقل السليم اذا اعتبرنا: (اولاً) ان أحوال الهواء كانت قبل الطوفان مختلفة عن احوالهِ بعدهُ. (ثانياً) انَّ بنية الجسم البشريّ كانت اقوى منها بعد هذا العهد. (ثالثاً) ان عيشة البشر الاولين كانت ساذجةً بسيطة ليس فيها شيء من التأثيرات والتقلّبات التي تطرأ على

حياة الناس عادةً . (رابعاً) انّ العناية الالهيّة لاسباب معلومة كحفظ الجنس ونموّه وصيانة الوحي والتقاليد الاوليّة اقتضت طول حياة الانسان . (خامساً) ولنا في ذلك مثال في الحيوانات القديمة التي فُقد اليوم اكثرها ووجدت هياكلها وكانت في ذلك الوقت اكبر جسماً واطول عمراً لوجودها في احوالٍ جويّة مناسبة لها . فلمَ يكون الانسان خرج عن هذا الحكم العمومي وهو من حيث الجسد شبيه بالنبات والحيوان . (سادساً) وزد على ذلك انّهُ وُجد حتى بعد الطوفان بل قريباً من عهدنا بعض الاشخاص الذين تجاوزوا المئة السنة من عمرهم بكثير بل ناهزوا المئتين . والشواهد التاريخيّة على ذلك عديدة

اما قول الهلال انهُ أُريد بهذه السنين اعمار القبائل فلا سند لهُ الّا قول بعض الكتبة الملحدين . ولا ينفعهُ تعبير العرب عن القبيلة باسم جدّها كقولهم : « جاء عدنان » فانّ بين هذا التعبير وقول الكتاب الكريم فرقاً عظيماً . نعم انّهُ يجوز ان تُعزى بعض الافعال « العموميّة » لجدّ القبيلة وهو امرٌ شائع ليس فقط عند العرب لكن عند كلّ الشعوب . اما الافعال « الشخصيّة » كالولادة والموت والعمر والتوليد فلا يجوز . فمن منّا وجد في كتاب عربي « ان زيداً وُلد او مات في سنة كذا » والمراد بهذا التعبير لا زيد بل قومهُ . وهو امرٌ مخالف لما هو معهود في اصطلاح الشعوب كلها فضلاً عن العرب

٢ اعتراضات على النصرانية

قرأنا في العدد ١٨٤ من مجلة المعلومات عدّة اعتراضات انتقدت فيها على النصرانية الكاتبة الاديبة فاطمة عليّ خانم . فرأينا من واجباتنا ان نحلّها وفقاً لوصيّة الرسول بطرس (رسالتهُ الاولى ٣ : ١٥) الذي يفرض على المسيحيين ان يكونوا مستعدين للاحتجاج عن صحّة دينهم

ورد في المعلومات ما حرفهُ : « على انّ هؤلاء القوم (اعني النصارى) قد انتقدوا بانفسهم على انفسهم مسئلة « القرنفسيون » (اعني الاقرار بالخطايا للكهنة) . . . حتّى انّهم يعترضون على كثير من احكام دينهم باطلاً غير معقولة ولا موافقة للحكمة وبذلك لم يخفهم ما ورد في التوراة من انّ مدّة الدنيا نيف وستّة آلاف سنة من اعتقاد انها قديمة مرّت (كذا) عليها قرون كثيرة وادوار عديدة . . . اما ترى اكثر القوم حين وقفوا على تحريف التوراة والانجيل ورأوا عبث الاحبار كلّ آن باحكام النصرانية مرقوا منها واصبحوا حيارى يلتمسون ديناً لا يتوقّف العقل في قبول احكامهِ »

فيستفاد من هذه الاسطر: (اولًا) ان الاعتراف بالخطايا للكهنة من الامور غير المعقولة. (ثانيًا) انّ التوراة تعلّم النصارى ان مدّة الدنيا تنيف وستّة آلاف سنة فنبذ النصارى قول التوراة واعتقدوا انّهُ مرّ على الدنيا قرون كثيرة. (ثالثًا) انّ التوراة والانجيل محرّفان يعيث بهما الاحبار كلّ آن ولذلك يمرق اكثر القوم من النصرانيّة

جوابنا على (الاول) انّ تعريف النصارى باعترافهم بخطاياهم الى الكهنة باطل وذلك لاسباب عديدة نكتفي بذكر اخصّها وهو ان الاقرار بالخطايا ممّا اشترعهُ السيد المسيح في انجيلهِ حيث قال لرسلهِ الحواريين (يوحنّا ٢٠: ٢٢): «خذوا الروح القدس من غفرتم خطاياهم تُغفر لهم ومن امسكتم خطاياهم تمسك لهم». وقال لهُ المجد (متى ١٨: ١٨): «ان كل ما ربطتموهُ على الارض يكون مربوطًا في السماء. وكلّ ما حللتموهُ على الارض يكون محلولًا في السماء». والحال انّ غفران الخطايا وامساكها حلّها وربطها لا يتمّان الّا بان يُكشف عنها بالاعتراف والاقرار. وليس في هذا الامر شيء يخالف العقل. لان الكاهن لا يغفر الخطايا باسمهِ الخاص بل بقوّتهِ تعالى الذي فوّض اليهِ هذا السلطان العظيم. فالغافر هو الله والكاهن نائبهُ عزّ وجلّ كالقاضي الذي حكّمهُ الملك على رعيّتهِ وجعل لهُ العقد والحلّ في جناياتهم فانهُ بعد الفحص عن الذنب يبرّئ او يعاقب المذنب على مقتضى شريعة المشترع الذي هو الله سبحانهُ وتعالى

جوابنا على (الثاني) انّ النصارى لم ينبذوا قول التوراة مطلقًا في عمر الدنيا كما في غير ذلك واذا فعلوا فهم مارقون من النصرانية لم يُعدُّوا منها. ولكن قد وهم المعترض في قولهِ انّ التوراة تعلّم كون مدّة الدنيا تنيف وستة آلاف سنة. فان هذا العدد قد استخاصهُ البعض من التوراة بحساب خصوصي لم يوافقهم عليهِ كثيرون من النصارى. ولعلها الكنيسة الكاثوليكيّة حسابات عديدة في تاريخ الخليقة تختلف بينها اختلافًا عظيمًا يبلغ الفرق فيها الوفٌ من السنين. والكنيسة حتى الان لم تبتّ في ذلك حكمها فيجوز اذن للنصارى ان يرتأوا في عمر الدنيا رأيَ فئةٍ من ائمتهم الأثبات دون الاخرى كما يشاؤون. واذا سألنا احدٌ مزيد ايضاح في هذه المسئلة زدناهُ. ونقتصر اليوم على ما سبق

امّا الجواب على (الثالث) وهو تحريف الاحبار للتوراة والانجيل في كلّ آن والعبث بالكتب المنزلة فاننا ننكر الامر كلّ الانكار ومعاذ الله ان نبدل حرفًا من

كلامهِ تعالى اذ نعلم ما تهدَّد بهِ سبحانهُ المحرّفين (رؤيا ٢٢: ١٨) حيث قال: انهُ يُسقط نصيبهم من سفر الحياة ومن المدينة المقدَّسة اذا زادوا او اسقطوا شيئاً من كلامهِ عزَّ وجلَّ. فان صدق اذن المعترض فعليهِ ان يأتينا بآية واحدة حرَّفناها والاَّ سقطت حجَّتهُ وبطل زعمهُ. وما نعلمهُ نحن ان علماءنا جمعوا مئات من نسخ التوراة والانجيل في لغات شتى كُتبت منذ قرون عديدة وقابلوا بينها فلم يجدوا فيها الاَّ اختلافات عرضيَّة لا تمسّ بالمعنى اصلاً. وفي خزانة كتبنا الشرقيَّة عدَّة نسخ قديمة في اليونانية (منها صورة النسخة الواتيكانية التي يرتقي عهدها الى ١٤٥٠ سنة) والسريانية والعبرانية والعربية فمن اراد ان يطَّلع عليها للمقابلة فليشرّف مدرستنا ليرى هل دخل فيها شيء من التحريف

وعليهِ فليس ما كتبهُ المعترض صحيحاً اذ قال: « ان اكثر القوم... مرقوا منها (النصرانيَّة) واصبحوا حيارى يلتمسون ديناً لا يتوقف العقل في قبول احكامهِ »

٣ هل يكون الخلاص بالايمان وحدهُ

أُرسلت الينا نسخةٌ من ورقة ذات اربع صفحات مترجمة من الانكليزيَّة بقلم اسعد داغر يوزعها البروتستان في انحاء لبنان ليخدعوا بها السُّذَّج. ومضمون هذه الورقة بعض اخبار يحاول البروتستان ان يبرهنوا فيها انَّ الايمان وحدهُ دون الاعمال الصالحة كافٍ للخلاص وان المسيح يوتهِ اكل عمل نجاتنا فلا نحتاج نحن الى شيء سوى الايمان بهِ

(قلنا) اننا نتعجَّب من البروتستان كيف لا يستحيون فينشرون على رأس الملا مثل هذه التعاليم التي تؤدي الى فساد الاخلاق وترخي العنان لكل المآثم. أفيرون الشرقيين بُلهاً لا يفهمون او يُداهنونهم فيقنعونهم بمبدإ زعيمهم لوتاروس القائل وبئس القول قولهُ: « اخطئ كثيرًا وآمن اكثر ». نعم اننا لا نجهل فضل الايمان ونفقه قول الرسول انَّهُ بلا ايمان لا يمكن ان نرضي الله. ولكن ماذا ينفع الايمان ان لم تصحبهُ المحبة والاعمال الصالحة؟ ألم يقل رسول الامم (١ كو ١٣: ٢): « ولو كان لي الايمان كلُّهُ حتى انقل الجبال ولم تكن فيَّ المحبة فلستُ بشيء ». وانَّ « المحبَّة اعظم من الايمان ». أينسى البروتستان انَّهُ « ليس السامعون للناموس هم ابرار عند الله بل العاملون بالناموس هم يُبرَّرون » (رومية ٢: ١٣). وانَّ الربَّ لا يعرف يوم الدين

(متى ٧ : ٢٢) الذين باسمه تنبأوا وصنعوا القوات واخرجوا الشياطين لانهم لم يثمروا ثمرًا جيدًا ولم يعملوا ارادة الاب الذي في السماوات. وانَّ العظيم في ملكوت الله هو الذي يعمل وصايا الله و يعلّم الناس هكذا (متى ٥ : ١٩). وانَّ الله يزجُّ في النيران الابدية (متى ٢٦) الذين لم يطعموا الجياع باسمه ولم يرووا العطاش ولم يأووا الغرباء ويكسوا العُراة و يزوروا المحبوسين. وكل هذه اعمال صالحة يقتضيها الديّان من المؤمنين. ولا نراه يسأل حينئذٍ عن الايمان

فما للبروتستان يتشدّقون دائمًا صارخين « الايمان الايمان » في حين كون الاسفار الالهية تكرر في كل صفحة من صفحاتها (متى ٥ : ١٦) « ليضئ نوركم قدّام الناس ليروا اعمالكم الصالحة ويمجدوا اباكم الذي في السماوات ». فمن نصدّق البروتستان الذين يقولون انَّ الايمان وحده كافٍ للخلاص او المسيح الذي يقول انَّ الايمان ما هو الّا مدخل الخلاص واساسهُ وهو لا ينفع شيئًا ما لم تُحيِهِ الاعمال الصالحة. فلينظر البروتستان في امرهم فانّا نحنُ نفضّل اوامرهُ تعالى على تعاليمهم الباطلة التي تنقض كلام الله وتؤدي الى الكفر كما هو شأن الشعوب البروتستانية في زماننا .

٦ بتولية القديس يوسف

كنّا ناقشنا في شذرة سابقة (المشرق ٣ : ٣٨٠) رأي المنار في نفيهِ بتوليّة القديس يوسف. فأجابنا صاحبهُ اناره الله في عددهِ الاخير (ص ٤٥٥) « انَّ قولنا من الغرابة بمكان لان القول بانهُ غير بتول قول راجح من قديم الزمان ». ثم اورد لنا بعض الشهادات اخصّها للقديس يوحنّا ذهب قال فيها بانَّ يوسف كان متزوجًا واولد بنين ثمَّ لمّا ماتت امرأته الاولى اقترن بالعذراء البتول دون ان يعرفها

نجيب (اولًا) اننا نشكر المنار على تلطيفهِ لزعمه الاوّل فكتب هذه المرّة انَّ القول بان القديس يوسف غير بتول « قول راجح » فأقرَّ بذلك على الاقلّ ان رأي الكاثوليك راجحٌ ايضًا. وبين قولهِ الحاضر وقولهِ الاوّل بونٌ بعيد حيث جزم سابقًا (ص ٤٢٢) : « انَّ يوسف كان اولًا مشتركًا بزيجة نقيّة واولد بنين ». (ثانيًا) قد نسب الينا المعترض ما لم نَقلهُ وبنى على ذلك كل تفنيدهِ وهذا لعمري من طرائق الجدال العجيبة التي لم يعرفها الفلاسفة حتى الآن

قال سامحهُ الله: « انَّ المشرق . . . يذهب الى انَّ علماء الكنيسة شرقًا وغربًا مجمعون على بتولية القديس يوسف » فاستظرف مقالنا وكبَّر وصاح بالويلات وتنشَّر. ويا ليت المنار كان نقل كلامنا بحرفهِ لكانت سقطت حجتهُ من اصلها. وهذا ما قلناهُ بالحرف: « ولنا لردّ زعم المنار عدَّة حجج: اوَّلاً اجماع الكنيسة الكاثوليكية في عهدنا في كل المعمور على ما يخالف رأسًا قول المنار . . . ». والفرق واضح بين قولنا هذا وما نسبهُ الينا. لانَّ كلامنا عن الكنيسة الكاثوليكية « في عهدنا » لا عن تعاليم بعض العلماء في احد القرون الماضية. وعليهِ فانَّ استشهادهُ بقول احد الآباء الاقدمين لا يجديهِ نفعًا وليس بمناقض لقولنا عن تعليم الكنيسة « في عهدنا ». (ثالثًا) انَّ الشواهد التي اوردها المنار عن القديس يوحنا فم الذهب وبعض معلمي الكنيسة اللاتينيَّة وان صحَّت لا يُستفاد منها سوى امر واحد وهو انَّ بتوليَّة القديس يوسف قبل اقترانهِ بالعذراء الطاهرة من المعتقدات الثانويَّة التي ارتاب فيها قسم من الآباء الاقدمين. وقد بيَّنا (في المشرق) (٢ : ٤٣١) سبب ارتيابهم اعني شرح آية مرقس (٦ : ٣) في اخوة الربّ. لكنَّ غيرهم من الآباء كالقديس ايرونيموس والقديس اوغسطينوس والقديس انسلموس والقديس توما اللاهوتي. ومن اليونان تاوفيلاكتوس ويوسف صاحب الاناشيد البيعيَّة رأوا خلاف هذا الرأي. فكنيسة الله المرشدة من الروح القدس قد فضَّلت رأي الآخرين على الاوَّلين منذ زمن مديد حتى ان القديس بطرس داميان (+١٠٧٣) نظم بتوليَّة القديس يوسف في سالك عقائد الايمان (١. (رابعًا) هذا اذا سلمنا بانَّ ما رواهُ المنار للقديس يوحنا فم الذهب هو حقيقةً لهُ. ولكن ليس الامر كذلك فانَّ الشاهد الذي استند اليهِ المنار قد ورد في خطبة أبي جمهورُ المنتقدين نسبتها الى القديس يوحنا فم الذهب ولذلك تراها في مجموع اعمالهِ مطبوعة على حدةٍ في جملة الاعمال التي نُسبت اليهِ غلطًا (Spuria) (٢. (خامسًا) وكفانا فوق كل هذه البراهين ما ورد في الكتب الطقسيَّة اليونانيَّة في مديح القديس يوسف وطهارتهِ فان الكنيسة اليونانيَّة تطرنهُ بثناء عاطر لم تخصَّ بهِ اعظم القديسين. بل هي تذكر صريحًا بتوليَّتهُ في الميناون

---

١ راجع كتابهُ في بتوليَّة الكهنة الفصل الثالث

٢ راجع اعمال الآباء اليونان لمين المجلَّد ٥٠ ص ٢٩٢

اليوناني الكبير في يوم الاحد المعروف بأحد يوسف الواقع بعد عيد الميلاد حيث ورد عنهُ ما لفظهُ (١ :

τῆς παρθενίας ἐγγυήσασαι καὶ πατρὸς τεκοῦσαν παῖδα κέκληκαι.

اعني " انك (يا يوسف) قد حصلت على البتوليَّة ودُعيت أبًا للطفل المولود » . فنسأل المنار (ان كان ممن لم يكابروا الحقّ) أيوجد شهادة اقوى من هذه ؟ فانَّ كنيستهُ نفسها تُبطل قولهُ الحاضر كما أبطلت قولهُ السابق في ان البابا ليباريوس القديس كان اراتيكيًّا (راجع المشرق ٢ : ٤٤٩) . وبعد هذه البراهين نأمل من صاحب المنار ان يقرّ بغلطهِ في حقّ اعظم اولياء الله بعد البتول الطاهرة وان يكذّب ما نسبهُ الينا من عدم اكرام معلمي الكنيسة الشرقيَّة الذين نجلُّهم ايَّ اجلال ونفتخر بهم ونستضيء بنورهم حيثما لا نجد في اقوالهم شيئًا يناقض تعاليم الكنيسة الجامعة . لانَّ علماء اللاهوت يثبتون انَّ الآباء ليسوا بمعصومين من الغلط الَّا اذا نطقوا باسم الكنيسة جمعاء كشهود للتقليد الرسولي لا كمعلّمين خصوصيين . وهذا بحث سنعود اليهِ ان شاء الله اذا ما سنحت الفرصة

الباء العامّيّة في المضارع

جواب اول لحضرة اللغوي البارع الاب انستاس الكرملي

طلب المشرق (٣ : ٢٨٧) « من الادباء ان يبدوا رأيهم في اصل الباء التي تُدخلها العامّة على المضارع نحو يكتب بيأكل » اه . — (قلتُ) قد قرأت سابقًا آراء مختلفة في مواطن شتى ولا اعود اتذكر في اي جريدة او مجلة او كتاب طالعت تلك الآراء . وجلُّ ما اتذكّر من كل ما قرأتهُ خلاصات تلك الآراء وهي هذه الآتية :

(الرأي الاول) : ان اصل الباء هناء للقسم تركيدًا لعمل الشيء . فاستغنوا بالحرف الواحد الدالّ عن ذكر اسم الجلالة فمعنى قولهم : يكتب : بالله انهُ يكتب . وهذا نظنهُ بعيدٌ لما فيهِ من التكلُّف الظاهر

(الرأي الثاني) : الاصل مقطوع منبوذ وهو كلمة مجرورة بالباء تدل على العزم او

(١) راجع اعمال القديسين للبولنديين المجلَّد الثالث من آذار (ص ٦)